قراءة في مخطوط "الجامع الكبير"
للعلامة أبي زيد عبد الرّحمن الثعالبي (ت 875هـ/1470م) [1]

أة/ أمينة سليمة صاري
قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2

يعتبر مخطوط "**الجامع الكبير**"، للشّيخ العلاّمة أبي زيد عبد الرّحمن الثعالبي، من بين المخطوطات القيّمة المحفوظة في المكتبة الوطنيّة بالجزائر، بسبب محتواه القيّم، إذ إنّ به أكثر من مائة ترجمة لفقهاء مالكيّة، إضافة رحلة التّعالبي العلميّة، والإجازات التي تحصّل عليها من شيوخه، أمّا باقيه فيتناول مواضيع دينيّة مختلفة. ولشهرة مُؤَلِّفِهِ وانتشار ذكره في بين العلماء، وتنوّع إنتاجه العلمي. ومن خلال هذا وجب علينا أولا إعطاء لمحة بسيطة عن حياة عبد الرّحمن التّعالبي، مع إبراز أهميّة دراسة هذا المخطوط، وتبيان محتواه وقيمته العلمية.

جوانب من الحياة العامة في عصر الثعالبي:

عاش الشّيخ عبد الرّحمن التّعالبي في أواخر القرن الثّامن الهجري (14م) إلى أواخر القرن التّاسع (15م)، وقد شهد المغرب الإسلامي في هذه الفترة من النّاحية السّياسيّة حكم ثلاث دول: الحفصيّة في تونس، الزّيانيّة في المغرب الأوسط، المرينيّة في المغرب الأقصى. تميّز الوضع العام بينها بالتّنافس لسيادة المغرب الإسلامي، وباعتبار أنّ الدّولة الزّيانيّة كانت تحتل موقع الوسط بين الدّولتين، فإنّها كانت عرضة للتّدخّل في أراضيها. كما ساد الانقسام الدّاخلي والتنافس بين أفراد الدولة الواحدة للفوز بالحكم، بالإضافة إلى ما عاشه المغرب الإسلامي من حروب وفتن بين كلّ دولة والقبائل المخالفة لها، فلطالما اشتغل السّلاطين بحروبهم الداخلية عوض مواجهة الخطر الخارجي الّذي بدأ يُهدّد السّواحل وهو الخطر الإسباني والبرتغالي.

كانت قبيلة التّعالبة التي ينتمي إليها المُؤَلِّف هي صاحبة الزّعامة في مدينة الجزائر وسهول متّيجة، وإمارة التّيطري، من أيّام الموحّدين، وكان يرأسها لهذا العهد سالم بن إبراهيم[2].

أما عن الحياة الثّقافيّة والعلميّة فقد عرفت البلاد ازدهارا كبيرا، فبرز عدد من العلماء كان لهم تأثير قوي في الحياة العامة، وكثر الإنتاج العلمي والتأليف في مختلف العلوم. كما

انتشرت مراكز العلم في أرجاء البلاد؛ من الكتاتيب، والمساجد، والمدارس والزوايا وتولّت مهمة التّدريس ونشر العلوم بالاعتماد على مجموعة من الكُتب، وقد تتّضح لنا معالم النّظام التّدريسي والكُتب المُبرمجة في كلّ علم من خلال برامج العلماء والإجازات العلميّة الّتي كانوا يتلقّونها من شيوخهم إذ كانوا يُضمّنونها مختلف المصنّفات الّتي تلقّوها وتدارسوها[3].

كلّ هذه العوامل والظّروف أدّت إلى ظهور إنتاج علمي وفير في مختلف العلوم النّقليّة منها والعقليّة، وإن كان أغلبه عبارة عن شروح أو اختصارات للمتون، فنجد أنّ لكل عالم مشهور في هذه الفترة مجموعة من المؤلّفات قد تتجاوز العشرين مؤلّفا في مختلف المجالات، وبالتّالي فقد مثّل علماء هذا العصر موسوعات علميّة مُتنقّلة. وبرز عدد كبير منهم.

لمحة عن حياة الثّعالبي ومشواره العلمي:

هو عبد الرّحمن بن محمّد بن مخلوف، أبو زيد[4]، ويكنّى أيضا بأبي يحيى وأبي محمّد[5]، **الثّعالبي**، نسبة إلى قبيلته "الثّعالبة"، **الجعفري**: نسبة إلى جعفر بن أبي طالب[6]، **الجزائري**: نسبة إلى مدينة الجزائر[7]، **المغربي**: نسبة إلى المغرب الإسلامي، **المالكي**: نسبة إلى مذهب الإمام مالك بن أنس. وقد أضاف ناسخ كتابه "حقائق التّوحيد" إليه نسبة "**الهواري**"[8].

ولد الثّعالبي في منطقة يَسِّر وهي بحسب تعبيره واد مشهور شرقي مدينة الجزائر[9] وهي الآن تابعة لولاية بومرداس. اختلف المؤرّخون في تحديد تاريخ ميلاده بين ثلاثة احتمالات هي: (785هـ/1383م)، (786هـ/1384م)، (787هـ/ 1385م)، وكان هذا نتيجة الخلاف الّذي وقع بين والده وعمّه على تحديد تاريخ ميلاده[10]. ومن خلال استنطاقي لبعض النّصوص الواردة في كتب الثّعالبي، توصّلت إلى نتيجة مفادها أنّه ولد في إحدى السنوات التالية: 784هـ، 785هـ، 786هـ، 787هـ[11].

نشأ الثّعالبي في مدينة الجزائر، ولمّا شبّ تاقت نفسه إلى الرّحلة في سبيل طلب العلم، فزار أماكن مختلفة، اقتبس العلم في كلّ منها من خيرة شيوخها. كانت بداية رحلته في أواخر القرن الثّامن الهجري، من منطقة يَسِّر شرقي مدينة الجزائر، دخل بجاية سنة (802هـ/1399م)، وبقي بها إلى سنة (809هـ/ 1406م)[12]. ثم قصد مدينة تونس في أواخر سنة (809هـ/1406م)، أو أوائل سنة (810هـ/1407م)[13]، ومنها اتجه إلى مصر ومكة. ويذهب الشيخ عبد الرحمن الجيلالي إلى أنّ الثعالبي زار مدينة بورصة بتركيا[14]. وبعد هذا رجع الثعالبي إلى مصر، ومنها إلى تونس[15].

بعد أن قضى أزيد من عشرين سنة متجوّلا بين مختلف الحواضر الإسلاميّة عاد إلى "مدينة الجزائر" في الفترة ما بين (820- 833هـ)[16]. ويقال إنّ سبب استقراره بها هو أنه لمّا دخلها مرّ بأحد الأزقّة فسمع ولدا في المدرسة القرآنيّة يقول: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[17]، فقرّر الإقامة بها[18].

تلقّى الثّعالبي خلال رحلته، العلم على عدد من الشّيوخ منهم: أبو الحسن علي المانجلاّتي، وأبو الحسن علي بن محمّد الليليتني، وأبو مهدي عيسى الغبريني، وأبو عبد الله محمّد بن خلفة التّونسي الوشتاني الشّهير بالأُبّي، وأبو القاسم بن أحمد البرزلي، وأبو زرعة ولي الدّين أحمد العراقي، وأبو عبد الله محمّد القلشاني، وابن مرزوق الحفيد التّلمساني، وأبو محمّد عبد الواحد الغرياني[19].

أمّا عن تلامذته، فمنهم: أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم بن الجليل السنجاسني[20]، وعبد الجليل بن محمّد بن عثمان الزّروالي، الرّاشدي[21]، أبو العبّاس أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري (صاحب القصيدة في رثاء شيخه الثّعالبي)، وعبد الرحمن الغبريني[22]، وأحمد زروق، وابن مرزوق الكفيف، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي[23].

توفي الشّيخ عبد الرحمن الثعالبي رمز مدينة الجزاير عن عمر يناهز التسعين سنة: "... ضحوة يوم الجمعة 23 رمضان المعظم سنة 875هـ..."[24]. الموافق لـ 15 مارس 1470م[25]، ونُقِلَ جثمانه من منزله القريب من الجامع الكبير (المسجد)، ودفن في ربوة خارج باب الوادي تعرف بـ "جبّانة الطلبة"، أين يوجد ضريحه[26].

- مكانة الثّعالبي العلميّة:

تتجلّى لنا مكانة الثّعالبي العلميّة في ثلاثة نقاط أساسيّة هي:

أ. العلم الّذي حصّله: حرص الثّعالبي على تلقّي العلم من مختلف المشارب، فتلقى علوما جمّة من فقه وأصوله، تفسير للقرآن، ومختلف علوم القرآن، فرائض، تصوّف، علوم العربيّة، آداب ومواعظ، سيرة نبويّة، تراجم، وغيرها من العلوم، بالإضافة إلى اهتمامه بالطّبّ، لكنّه برع أكثر في علم الحديث فنجده يذكر براعته فيه عند عودته إلى تونس، وكيف أنّه فاق أقرانه في هذا العلم ومع ذلك يُحاول الاستزادة منه[27]. ومن جهة أخرى كان للثعالبي أسانيد عالية في رواية بعض الكتب العلميّة منها: كتاب "صحيح البخاري"، و"صحيح مسلم"، وموطّأ الإمام مالك بن أنس[28]. وقد يتجلّى العلم الّذي حصّله الرّجل من خلال الإجازات العلميّة الّتي أوردها في كتابه "الجامع الكبير"، وكذلك فيما أورده من أسانيد ومرويّات في فهرسته "غنيمة الوافد"[29].

ب. الوظائف الّتي شغلها: اشتغل بعدة مناصب مهمة، منها: **التّدريس**[30]. و"**الإمامة**" أولا في تونس[31]، وبعد ذلك في "الجامع الكبير" (المسجد) بمدينة الجزائر[32]. وتولّى **الفتوى والقضاء** بنفس المدينة، ثمّ تخلّى عنه مفضّلا التّفرّغ للعبادة والتّأليف[33].

ج. ثناء العلماء عليه: من خلال أقوال العلماء وثنائهم على الشّيخ عبد الرّحمن الثّعالبي تتجلّى لنا مكانته العلميّة الكبيرة، خصوصا ما قاله عنه مُعاصروه من العلماء، من شيوخه وتلامذته، وما نقله هو بقلمه مع تواضعه الشّديد وخشيته للّه في هذا الجانب، ومن خلال كلّ هذه النّصوص تتّضح لنا المكانة الّتي كان يحتلّها، فقد كان إماما، فقيها، حافظا، مفسّرا، يحظى باحترام وتقدير كبيرين من شيوخه وتلاميذه وكلّ من عرفوه، وكلّ من جاءوا بعده[34]. ومثال ذلك قول شيخه الأُبّي عنه: "... ما قاله الصاحب، الفقيه، المُجيد، الأكرم، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد... صحيح، وقد أذنت له في إقراء ما ذكر، وثوقا بجودة فهمه، وجودة قريحته..."[35].

- **مؤلّفات الثّعالبي:**

من أبرز مصنّفاته: روضة الأنوار ونزهة الأخيار، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المختار من الجوامع في محاذاة الدّرر اللّوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، شرح مختصر ابن الحاجب، الأنوار في آيات النّبي المختار، العلوم الفاخرة في النّظر في أمور الآخرة، جامع الفوائد، جامع الأمّهات في أحكام العبادات، غنيمة الوافد وبغية الطّالب الماجد، كتاب الرُّؤى والمنامات، إرشاد السّالك لما فيه من مصالح العباد، جامع الخيرات المُصنّف بقرب المَمات، جامع الهمم في أخبار الأمم، وغيرها من المؤلفات التي تزيد عن التسعين مؤلفا.

- **إثبات عنوان المخطوط:**

عند التّطرّق إلى مسألة عنوان المخطوط نجد أمامنا العديد من الاحتمالات والآراء، وسبب ذلك أنّ النّسخة الأصلية رقم 851 المتواجدة بالمكتبة الوطنيّة مبتورة الأوّل، ممّا يعني أنّ العنوان قد فُقد. وهذه الاحتمالات هي كونه: نسخة مسودّة من مخطوط "العلوم الفاخرة في النّظر في أمور الآخرة"[36]، أو أنّه "طبقات الفقهاء المالكيّين"[37]، أو "روضة الأنوار ونزهة الأخيار"[38]، أو "جامع الهمم في أخبار الأمم"[39]، أو "جامع الفوائد"[40].

وبعد الدراسة والبحث تمكّنت اعتمادا على مجموعة من الأدلّة؛ التّوصّل للعنوان الصّحيح وهو "**الجامع الكبير**" استنادا على ما يلي:

- يذكر الثعالبي عنوان المخطوط أي "**الجامع الكبير**" في العديد من مؤلّفاته الأخرى، مثل "غنيمة الوافد"، إذ قال: "... وشرحنا لابن الحاجب الفرعي والجامع الكبير الملحق به"[41]، فيما يذكر عنوان المخطوط، ومحتواه، وسبب تأليفه في كتابه: "جامع الأمّهات في أحكام العبادات"، عند حديثه عن مؤلّفاته، إذ يقول: "... وشرحنا لابن الحاجب الفرعي، والجامع الكبير الملحق به... "[42]، ثمّ يقول: "... وقد عرّفت برحلتي وبمشايخي في الجامع الملحق بشرح ابن الحاجب لمّا سألني ذلك بعض فضلاء أصحابي... "[43].

- ورد ذكر اسم "الجامع" في اللّوحة رقم 144 ظ من مخطوط "الجامع الكبير" في "باب جامع لجمل فوايد في الأذكار والدّعوات لم يتقدم ذكرها استدركناها في هذا الباب"، إذ قال الثعالبي: "... وقد تقدّم أنّ قصدي في الجامع، جمع الفوايد من غير التفات إلى ترتيب على عادة السلف... "[44].

- تحمل نسخة طولقا عنوان "الجامع"، إذ ورد في مقدّمتها ما يلي: "... هذا كتاب الجامع للشّيخ الثّعالبي، يقول العبد الفقير إلى الله، الغنيّ به عن ما سواه عبد الرّحمان بن محمّد الثّعالبي... لمّا يسّر الله سبحانه في إتمام هذا الشّرح سألني بعض الأصحاب تذييله بكتاب الجامع... "[45].

- تذكره بعض المصادر، مثل ما قاله الكتاني: "... ترجم الشّيخ نفسه في كتابه الجامع، فذكر أنّه رحل من الجزائر في طلب العلم... "[46]، ويذكره محمّد بن سعيد قدّورة في كتابه "جليس الزّائر وأنيس السّائر"، عند نقله لنص رحلة الثّعالبي وإجازاته العلميّة من "الجامع الكبير"، إذ يقول: "ومن كتاب الجامع لسيدي عبد الرّحمن الثّعالبي، ما نصّه. فصل: قال المسيلي: وُلد شيخنا أبو عبد الله محمد بن عرفة... "[47]. وهذا النص الذي اقتبسه محمد بن سعيد قدّورة هو نفس النص الموجود في المخطوط.

من خلال ما سبق نلاحظ أنّ العنوان يتمحور في ثلاثة أسماء "الجامع"، "الجامع الكبير"، و"الجامع الكبير الملحق بشرح ابن الحاجب"، فنستنتج أنّ عنوان المخطوط هو "الجامع الكبير"، ويختصره الثّعالبي بقوله "الجامع"، أمّا مسألة إلحاقه بشرح ابن الحاجب فلا تعتبر ضمن العنوان بالنّظر إلى أنّ الثّعالبي لم يذكرها في النّصوص الّتي أوردتها من مؤلّفاته باعتباره جزء من العنوان، وإنّما لأنّه صنّف "الجامع الكبير" ليكون ملحقا بهذا الشّرح. والله أعلم.

- **سنة التّأليف:**

من خلال تصفح المخطوط نجد تاريخين للتّأليف، الأوّل يرد في الورقة 47 وجها، وهو يُمثّل انتهائه من التّأليف إلى حد ذلك الموضع، وكان ذلك في أواخر شهر محرّم عام (847هـ/1443م) كما جاء في النّصّ التّالي: "... وقد بلغت في جمع هذا الكتاب إلى هذا المحلّ، في أواخر المحرّم من عام سبعة وأربعين وثماني ماية، وعمري يومئذ ستّون سنة، أو إحدى وستّون، جعله الله سبحانه عمرا في طاعته"[48].

التّاريخ الثّاني في الورقة 204 ظهرا، وهو يمثّل انتهاء الثّعالبي من التّأليف ككل، وكان ذلك في أواخر ذي القعدة من نفس السّنة إذ يقول: "... وقد آن لنا أن نختم كتابنا، أسئل الله سبحانه أن ينفعني وإيّاكم به، ووافق الفراغ من تأليفه يوم الخميس من أواخر صفر عام سبعة وأربعين وثماني ماية"[49].

- **أسباب التّأليف:**

يُمكن استنتاج الأسباب الّتي دفعت بالثّعالبي إلى تأليف هذا المخطوط من خلال عدد من النّصوص، منها ما سبق ذكره، ولا ضير في إعادته للضّرورة، إذ يقول في "الجامع الكبير":

"... وقد تقدّم أنّ قصدي في هذا الجامع، جمع الفوايد من غير التفات إلى ترتيب على عادة السّلف، وفيه زيادة نشاط النّفس، وبالجملة فقصدي نفع عباد الله سبحانه والحرص على ما يبلغهم إلى مرضات ربّهم سبحانه، والفوز بجنّته ودار نعيمه والنّجاة من عذابه وأليم عقابه. عاملنا الله وإيّاكم معاملة أوليائه وأعاننا وإياهم على سلوك سبيل مرضاته"[50].

ويقول في "جامع الأمّهات":

"... وينبغي لمن صنّف تصنيفا أن يعرّف به حتّى لا يكون تأليفه مجهولا، لأنّه إذا كان مجهولا سقطت الثّقة به، وقد قلّ الاعتناء في هذا الزّمان بالعلم، وكان العلماء فيما مضى يعتنون بتعريف العلماء، وبتصانيفهم وتاريخ وفاتهم، كما فعل عياض في مداركه وابن خلكان والقضاعي وغيرهم، وقد عرّفت برحلتي وبمشايخي في الجامع الملحق بشرح ابن الحاجب لمّا سألني ذلك بعض فضلاء أصحابي... "[51].

وفي قوله في "الجامع الكبير" عند ذكره سنة التّأليف: "... وينبغي لمن ألّف، أن يعرّف بزمانه، وبمن لقيه من أشياخه، ليكون من يقف على تأليفه على بصيرة من أمره، ويسلم من

الجهل به، وقد قلّ الاعتناء بهذا المعنى في هذا الزّمان، وكم من فاضل انتشرت عنه فضايل، جهل حاله بعد موته لعدم الاعتناء بهذا الشّأن"[52].

من خلال هذه النّصوص يمكن استنتاج أسباب التّأليف وهي:

- جمع فوائد مختلفة من غير الالتفات إلى ترتيبها وذلك لتكون فيها زيادة لنشاط النفس البشرية

- الحرص على نفع عباد الله بما يبلغهم مرضاته عزّ وجلّ ويجعلهم يفوزون بجنّته وينجون من عذابه وعقابه.

- الحثّ على الاعتناء بتعريف العالم بمؤلّفاته، وبزمانه، وشيوخه، لكي يكون من يطّلع على تآليفه على بصيرة، ولا يُعتبر مجهولا، فيبيّن أنّ هناك من الفضلاء انتشرت عنهم فضائلهم في حياتهم، لكنّ حالهم جُهِل بعد موتهم لعدم الاعتناء بهذا الشّأن.

- اهتمامه الخاص بالتّعريف بالعلماء اقتداء بما كان عليه العلماء الّذين سبقوه، أمثال القاضي عياض والقضاعي وابن خلكان وغيرهم، فنجده يعطي قيمة كبيرة للتّعريف بهم، وذكر سيرهم، فنجد النّص المنقول من الجامع، يتحدّث عن فضل الاعتناء بهذا الفنّ.

- قلّة الاعتناء في زمانه بهذا النّوع من العلوم.

- اعتنائه بالتّعريف بشيوخه ورحلاته كان من باب الخوف من أن يُجهل حاله بعد مماته، فلذا ترك لنا ما يُعرّف به وبطلبه للعلم.

- أنّ من بين الأسباب الّتي دفعته إلى تأليف "الجامع الكبير" كون بعض فضلاء أصحابه سأله ذلك فلبّى رغبته.

- **أسلوب التّأليف:**

أما عن الأسلوب المتّبع في "الجامع الكبير"، فباعتبار النّسخة رقم 851 بخط يد الثّعالبي فهي لا تُمثّل فقط أسلوبه في هذا المخطوط فحسب، وإنّما تُعطي لنا نظرة عامّة عن المنهج الذي يتّبعه في الكتابة.

أ. ملامح البناء العام للنّص: من خلال المخطوطة يمكن استخراج بعض ملامح البناء العام للنّص وطريقة رسم الكلمات، فيما يلي:

- يغلب على المخطوط تشكيل بعض الكلمات الصّعبة والمبهمة خاصّة عند ذكر الأشعار والحِكَم، مع وجود تشكيل لبعض الكلمات الأخرى.

- يستعمل بعض الرّموز والاختصارات التي يستخدمها المحدّثون، مثل: ثنا وأنا، بمعنى حدّثنا وأنبأنا. وهذه الظّاهرة ليست غريبة على الثّعالبي فنجده يستخدم الاختصار في كتاب " روضة الأنوار ونزهة الأخيار"، فيرمز للقاضي عياض بحرف "ض"، إذ يقول مشيرا إلى ذلك: "... وجعلت الضّاد هكذا ض علامة عليه طلبا للاختصار... "[53].

- يستخدم كثيرا حرف التّاء "تـ". وتفسير هذا نجده في مخطوطة: "روضة الأنوار"، إذ يقصد بها الحديث عن نفسه، فيكتبها كرمز من رموز الاختصار عوض كلمة " قُلْتُ"، إذ يقول: "... وجَعلتُ التّاءَ علامةً لنفْسي بَدَلاً من قُلتُ ومن شاء كتَبَها... "[54]، نلاحظ من هذه العبارة الأخيرة، أنّ الثّعالبي يستعمل هذا الاختصار، لكنّه يبيح لغيره – وربّما يقصد بهم النّسّاخ- كتابة كلمة "قُلتُ" عوض التّاء.

ب. منهج الثّعالبي في التّأليف:

- يغلب عليه منهج الاختصار خاصّة في تّراجم فقهائه، فهو يختصر قدر الإمكان، فينقل ما يحتاج إليه فقط دون إطالة مملّة، أو اختصار يفقد التّرجمة معناها وروحها، ونجده يشير إلى هذه النّقطة بقوله: " تـ وهذا القدر كاف، وقد تركت ذكر كثير من العلماء ممّن قرأت عليه، وكثيرًا من مروياتي خشية الإطالة"[55].

- سهولة التّعبير، واختيار الكلمات المناسبة والمعبّرة، الموصلة إلى المعنى، وقد نستشف هذه النّقطة خاصّة في نص الرّحلة، ونصوص الإجازات العلميّة، لأنّها تُعبّر عن أسلوبه الحقيقي، باعتبار أغلبيّة التّراجم عبارة عن اقتباسات من مصادر مختلفة، وبالتّالي فهي لا تعكس لنا أسلوبه في الكتابة، بالرّغم ممّا تُبيّنه لنا من طريقته في الاقتباس والتّركيب. وتتبيّن لنا سهولة تعبيره أيضا في الأبواب المتبقّية من المخطوط، إذ نجد أسلوبه سلسا، بسيطا، يوصل المعلومة بطريقة رائعة إلى القارئ، حتّى أنّه في بعض الأحيان يتوجّه بالحديث مباشرة إلى القارئ ويخاطبه بأسلوب راق للغاية، مثل قوله: "وأنت أيها المسكين، متى كانت لك أعمال صالحة فإذا سألك الدّهر بنكبة شهد الملائكة ببراءتك، متى قلت حسبي الله بلسان الحقيقة... متى أحسنت معاملة الله وصدقت في عبادتك، متى أكثرت طاعته فتربح بضاعتك، متى نبذت الدّنيا وراء ظهرك، فتأمن خسارتك يا مسكين... "[56].

- يتصرّف في التّراجم الّتي ينقلها، فيقدّم ويؤخر، ويختصر، وفي بعض الأحيان ينقل فقرات كاملة من المصادر، كما نجده لا يلتزم بالتّرتيب الّذي اعتمدت عليه مصادره في

ترتيب الأعلام، فيقدّم عَلَمًا على آخر، أو يمزج بين مصدرين أو أكثر في ترجمة واحدة خاصّة في التّراجم الأخيرة الّتي تخرج عن الفترة الزّمنيّة لمدارك القاضي عياض.

- الأمانة العلميّة: وتتمثّل في صدقه في نسبة النّصوص إلى أصحابها.

- يعتمد في التّراجم على ذكر اسم صاحب التّرجمة؛ بلده؛ شيوخه؛ تلامذته؛ تخصّصه مثل قوله: الحافظ، الفقيه، عالم بالنّوازل؛ بعض مراتب الجرح والتّعديل مثل قوله: ثقة، ضابط، متقن، صالح؛ بعض الأخبار والتّفاصيل عن حياة المترجم له مثل الكلام عن زهده، وعن ملبسه ومأكله، وحالته الاجتماعيّة؛ يذكر محطّات رحلة المترجم له؛ وفي الأخير يأتي بخبر وفاته وسنته؛ أمّا عن تواريخ الميلاد فلم يركّز الثّعالبي على ذكرها بقدر تركيزه على ذكر سنوات الوفاة.

- في بعض الأحيان نجده يتدخّل في النّصوص يبدي رأيا مُعَيَّنا، أو ليشرح مسألة ما، ونُميّز تدخّلاته هذه من خلال حرف التّاء " تـ " الذي يرمز به إلى نفسه، عِوض أن يقول: "قُلتُ"، وتكون مصادره في أغلب هذه التّدخّلات إمّا كتب مخصوصة مثل تفسير ابن أبي جمرة، وكتاب ابن الفاكهاني، أو نُقُول شفويّة عن شيوخه، ومثال ذلك عند حديثه عن مسألة وسائل التّخلّص من وساوس الشّيطان في الوضوء وفي الصّلاة[57]، ومسألة حياة الخضر عليه السّلام ورُؤْيَتِ الأشخاص له[58]، وهو يتبع نفس هذا المنهج فيما تبقى من أبواب في هذا الكتاب، لكنه في بعض المواضع يذكر كلمة "قلت" كتابة كاملة.

- بالنّسبة لمنهجه في ذكر رحلته، نجده يركّز على أهم المحطّات الّتي زارها، مثل مدينة الجزائر، بجاية، تونس، مصر؛ مع السّنة الّتي دخل فيها كل مدينة أو يضع سنوات تقريبيّة كقوله: "... وذلك في أواخر القرن الثّامن... "، بالإضافة إلى ذكره لشيوخه الّذين تلقّى عنهم في كل مدينة، وبعض الأخبار الأخرى التي تعبّر إمّا عن خصوصيّة من خصوصيّات المدينة، أو عن أحواله فيها.

- يتميّز أسلوبه في الإجازات العلميّة، بكونه يُبيّن طلبه للاستدعاء، ثمّ يذكر نصّ الإجازة وهو يحتوي على اسم شيخه، والبلد الذي كان فيه عندما طلب الإجازة، والغرض من طلبها مثل الإذن بالإقراء والتّحديث عن الشّيخ، كما تُبيّن نوع الإجازة، إن كانت إجازة مكتوبة، أو إجازة بحث وتحقيق، أو إجازة مُطلقة عامّة، ثمّ يذكر العلوم الّتي تلقّاها عن شيخه مبيّنا الكتب في كل فن. وبعد هذا يورد نص لجواب الشّيخ يحتوي على اسم الشّيخ، اسم التّلميذ الّذي طلب الإجازة (في أغلب الإجازات هو الثّعالبي نفسه)، ويبيّن موافقة الشّيخ على ما التمسه منه تلميذه، وفي

الأخير يرد تاريخ هذه الإجازة. وفي كلّ من الوثيقتين نجد عبارات المدح والثّناء والتّعظيم سواء على لسان التّلميذ – أي الثّعالبي- أو على لسان الشّيخ.

- يتميّز أسلوب الثعالبي في الأبواب المتبقيّة من الكتاب، بكونه لا يتّبع ترتيبا معيّنا في ذكره للمسائل المختلفة، وهو يقسمها إلى أبواب، يحتوي أغلبها على فصول يناقش فيها مسائل متعلّقة بالموضوع الرّئيسي، وهو في كل باب يذكر جملة من الأحاديث النّبوية والآيات القرآنية، ثمّ يشرع في المناقشة مستعينا بنصوص من كتب مختلفة وبأقوال بعض العلماء وآرائهم.

- **مصادر الثعالبي في الجامع الكبير:**

اعتمد الثعالبي في الباب الأوّل من كتابه المحتوي على تراجم فقهاء مالكية، رحلته والإجازات العلمية على جملة من المصادر منها:

"**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**": للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، اقتبس منه الثّعالبي في أغلبية التراجم ما عدا بعض التّراجم هنا وهناك والتّراجم الأخيرة التي تخرج عن المدّة الزّمنيّة التي يتناولها المدارك، إذ قام الثّعالبي بانتخابها من مجموعة من المصادر الأخرى. حتّى أنّ النّاظر في "الجامع الكبير" قد يعتبره اختصارا للمدارك، ونلاحظ أنّه في نقله من هذا الكتاب، ينتخب بعض التّراجم، ويقوم بتلخيصها مع التّقديم والتّأخير فيها تارة أخرى، كما أنّه لا يتّبع نفس التّرتيب الذي التزم به القاضي عياض، ما عدا في بعضها، ونجده في بعض الأحيان يذكر أنّه أخذ عنه في بداية التّرجمة، أو في وسطها، أو في نهايتها.

أما عن باقي المصادر في هذا القسم فمنها: "**عنوان الدّراية**"، للغبريني، "**التّشوّف إلى رجال التّصوّف**" للتادلي الشّهير بابن الزيّات، "**قلائد العقيان في مجالس الأعيان**"، للوزير الفتح بن خاقان، "**وفيات الأعيان**" لابن خلكان، "**رياض النّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيّة**" لأبي بكر المالكي، "**طبقات علماء إفريقيّة**" للخشني، "**تاريخ علماء الأندلس**" لأبي الوليد ابن الفرضي، "**كتاب أبي العبّاس أحمد بن محمّد بن أحمد المسيلي**"، نقل عنه الثّعالبي في ترجمة ابن عطيّة، "**الجواهر الحسان في تفسير القرآن**"، للثعالبي، أشار إليه عند حديثه عن رحلته العلميّة.

وكتاب "**إكمال الإكمال**"، لشيخه الأُبّي، و"**تفسير**" الشّيخ ابن أبي جمرة، وكتاب "**تاريخ الرّواة**" لشيخه عبد الواحد الغرياني، و"**كتاب ابن الفاكهاني**" هذه المصادر استخدمها في تعليقاته على بعض المسائل.

وأيضا: "**الدّيباج المذهّب في معرفة أعيان علماء المذهب**" للقاضي إبراهيم ابن فرحون المالكي[59]، "**اختصار المدارك**" لمحمّد بن حمادة البرنسي السّبتي تلميذ القاضي عياض، وقد نقل منه التّعالبي في ترجمة عياض.

بالإضافة إلى **شهادات شفويّة، ومعايشة للأحداث**: فهو يعتمد على بعض الشّهادات الشّفويّة الّتي حدّثه بها بعض مشايخه التّونسيّين، أو بعض فضلاء مصر، أو سماعا من شيخه الأبّي، نجد هذا في ترجمته للشّيخ ابن عرفة الورغمي، إذ يقول: " تـ حدّثنا بعض مشايخنا التّونسيّين..."، وقوله: " تـ وحدّثني غير واحد من مشايخنا التّونسيّين... حدّثني بعض فضلاء مصر... "، وقوله: "... سمعت شيخنا أبا عبد الله محمّد الأُبي، يقول... "[60].

أمّا عن معايشته للأحداث فتتمثّل في عدّة أشكال، منها خبر وفاة ابن عرفة فهو عبارة عن مُعايشة للحدث، حتّى وإن لم يكن في نفس مكان وقوعه[61]، كما أنّ ما أورده في نص رحلته يدخل أيضا في هذا الباب فهو من خلال تنقّلاته في مختلف المدن الّتي زارها يعايش الأحداث وينقل لنا أخباره، وأخبار من تتلمذ على أيديهم، وكذلك الأمر بالنّسبة للإجازات العلميّة التي تلقّاها على شيوخه، فهو ينقل لنا اتّصاله بشيوخه وطلبه منهم الاستدعاء، ويمكن القول أنّ هذه الأخيرة تُمثّل مادّة خام أتى فيها بالجديد من حيث النّقول، فأغلبها إمّا عبارة عن مصادر شفويّة تلقّاها من شيوخه، أو عبارة عن نصوص كتابيّة "وثائق" حدثت مُكاتبة بينه وبينهم.

أمّا عن مصادر الثعالبي فيما تبقى من أبواب في هذا المخطوط، فهي كثيرة ومتنوّعة من ناحية اختصاصاتها، والملاحظ أنّ أغلبها ورد ذكره في الإجازات العلمية، ومنها: "**موطأ** الإمام مالك"، "**صحيح**" البخاري، ومسلم، وابن حِبان، "**جامع**" الترمذي، "**مسند**" أحمد بن حنبل، "**رياض الصّالحين**" و"**السّنن**" و"**الحلية**" و"**الأذكار**" للنّووي، "**التذكرة**" للقرطبي، "**المنهاج**" وكتاب "**الجواهر**" للغزالي، "**المصابيح**" للبغوي، "**سلاح المؤمن**" لأبي الفتح محمد بن علي بن همام، "**الرسالة**" لأبي القاسم القشيري، "**شرح التسهيل**" لابن مالك، "**المدخل**" لأبي عبد الله محمد بن الحاج، كتاب "**فضل العلم**" وكتاب "**بهجة المَجالس وأنس المُجالس**" لأبي عمر بن عبد البر، "**سنن الصالحين**" لأبي الوليد الباجي، كتاب "**الحلية**" لابن أبي جمرة، "**التاريخ الكبير**" لابن عساكر الدّمشقي، "**رحلة**" القاضي أبي بكر بن العربي (و هي الآن في حكم المفقود)، "**الحصن الحصين من كلام سيّد المرسلين**" لأبي الخير محمد بن محمّد بن الجزري الشافعي، "**تاريخ** هشام بن عبد الله القرطبي المسمى **بهجة النفس**"، "**الاكتفا في أخبار الخلفاء**" لعبد الملك بن محمد بن أبي القاسم بن الكردبوس، "**سراج الملوك**" للطرطوشي،

"**فتوح مصر**" لعبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم، "**تاريخ بغداد**" للخطيب البغدادي، "**التشوف**" للتادلي، كتاب "**التوحيد في فضلاء الصّعيد**" للشيخ عبد الغفار، "**ترتيب المدارك**" و"**الإكمال**" للقاضي عياض، نقول خطيّة عن بعض الشيوخ مثل الوغليسي، والشيخ عبد الرحمن القنائي، روايات عن بعض الثقاة. وغيرها من المصادر[62].

- **محتوى المخطوط وقيمته العلمية:**

يحتوي "الجامع الكبير" على دروب مختلفة من المسائل: تراجم، عقائد، أذكار، زهد. وبالتّالي فهو يضم العديد من الأبواب المختلفة، **الباب الأوّل** ينقسم إلى ثلاث محاور رئيسيّة، هي التّراجم، رحلة الثّعالبي، الإجازات العلميّة، وسأحاول إبراز محتويات كلّ منها، مع إعطاء القيمة العلميّة في نفس الوقت، فيما يلي:

-التّراجم:

به حوالي مائة ترجمة، تبدأ بترجمة أحمد بن المعدّل، وتنتهي بترجمة أبي عبد الله محمّد بن عرفة، والملاحظ أنّه عند نهاية ترجمته، وكأنّ الثّعالبي استرسل في الحديث عن رحلته العلميّة وإجازاته التي أوردها عند الحديث عن وفاة هذا العالِم. إلاّ إن اعتبرنا باب رحلته امتدادا من نوع آخر للتّراجم، باعتبار أنّه يُترجم فيه لنفسه، وأنّه بذكره لإجازاته وثنائه على شيوخه فيها وكأنّه نوع من التّرجمة لهم.

ويمكن لنا قراءة هذه التّراجم من عدَّة نّواحي وأبعاد تتمثّل فيما يلي:

أ. **البعد الزّمني**: فمن النّاحية الزّمنيّة، نجد أنّ أغلبيّتها تنتمي إلى القرن الرّابع الهجري/ 10م، ثمّ الخامس الهجري/ 11م، فالثّالث الهجري/ 9م، بينما نجد ترجمتين فقط ما بين القرن السّادس، السّابع هجري/ 12- 13م، وترجمة واحدة فقط من رجال القرن الثّامن، التّاسع هجري/ 14- 15م، وهي ترجمة ابن عرفة، ومن خلال هذا نستنتج أنّ الثّعالبي كلّما اقترب من الفترة الزّمنيّة الّتي عاش فيها، قلّ عدد العلماء الّذين ترجم لهم، وقد يرجع هذا في الأغلب إلى إعجابه الظّاهر بكتاب "ترتيب المدارك" فحرص على الاقتباس منه، وأغلبيّة تراجم القاضي عياض تنتمي إلى القرون الثّلاثة الأولى الّتي ذكرتها، وربّما استرسال الثّعالبي في ذكر رحلته وإجازاته العلميّة – كما أشرت سابقا- هو الّذي جعله يغفل عن ذكر علماء القرن الّذي عاش فيه.

ب. **البعد الجغرافي**: يتمثّل ذلك من خلال قراءتها من ناحية البلدان الّتي ينتمي إليها المترجَمُون، إذ أنّ أغلبيّتهم ينتمون للمغرب الإسلامي وخاصّة إفريقيّة وتمثّل 51 ترجمة، وتأتي الأندلس في المرتبة الثّانية بـ 29 ترجمة، فيما تتوزّع باقي التّراجم ما بين المشرق، مصر، بلاد

فارس، وصقلّية، نستنتج من خلال هذه الأرقام أنّ الثّعالبي يبدي اهتماما أكبر بعلماء المغرب والأندلس عن غيرهم من العلماء.

ج. **الرّحلة في طلب العلم**: نلاحظ اهتمام الثّعالبي بإعطاء أخبار عن الرّحلات الّتي يقوم بها العلماء، وذلك لِمَا تحتلّه الرّحلة من مكانة كبيرة، فمن خلالها يستطيع تلقّي العلم من مشارب مختلفة، ولقاء المشايخ والأخذ عنهم، فمن بين مائة ترجم ذكر المؤلّف أربعين رحلة انطلاقاتها مختلفة، ووجهاتها مختلفة، وقد يعود اهتمامه بذكر هذه المسألة إلى كونه هو نفسه كان رحّالة انتقل بين مختلف المدن والأماكن.

د. **البعد العلمي**: يتمثّل في الإنتاج الفكري الّذي نقله بذكره مؤلّفات المترجم لهم، فمن بين مائة ترجمة، ثلاثة وأربعون ذكر تآليفهم أو أخبارا عن اهتمامهم بالتّأليف أي حوالي سبعين كتاب، أغلبها تنتمي إلى العلوم الدّينيّة وخاصّة الفقه، والحديث، كما توجد بعض الكتب في مجالات أخرى مختلفة مثل: التّاريخ، التّراجم، السّيرة النّبويّة، الشّعر، والطّب، كما تدخل مسألة إيراده لمراتب الجرح والتّعديل في هذا البعد أيضا، فمن خلالها يُمكن معرفة عدالة المترجم لهم، ومراتبهم في هذا العلم.

هـ. **البعد الاجتماعي**: يتّضح هذا البعد من خلال ما يذكره من أخبار وتفاصيل عن حياة العلماء اليوميّة، مثل أخلاقهم، مأكلهم، ملبسهم، طريقة ونمط عيشهم، مثلما قال عن جبلة ابن حمّود: "... من أراد أن يدخل دار عمر ابن الخطّاب - رضي اللّه عنه- فليدخل دار جبلة... "، وقوله في نفس التّرجمة: " قال بن سعدون: رأيته حين صلى المغرب أخذ عجينة وذهب به إلى المستوقد، وقد طبخ فيه النّاس، وبقي الرّماد، فحفر فيه بعود، وجعل القرصة فيه، وغطّاها بالرّماد، وجلس في ذكر ودعاء، إلى أن أخذت قشرة، فأخرجها ونفضها... "[63]، وقوله عن حال ابن وضّاح في الصّيام: "... آخر العُبَّاد المجتهدين، يصوم حتّى يخضرَّ... "[64]، وغيرها من الأمثلة.

- **رحلة الثّعالبي في طلب العلم**: تحتوي الرّحلة على معلومات قيّمة يمكن استخلاصها فيما يلي:

أ. ابتدأ الثّعالبي رحلته في أواخر القرن الثّامن الهجري/ 14م، إلى غاية سنة 820ه/1417م، أي أنّه بقي مرتحلا من مدينة إلى أخرى أزيد من عشرين سنة.

ب. كانت "مدينة الجزاير" كما يُسمّيها هي نقطة انطلاقه، باعتبار أنّ بها مسقط رأسه وهي منطقة يَسِّر الوادي المشهور هناك، ومنها انطلق إلى عدد من المدن منها بجاية، تونس، مصر، مكّة المشرّفة، ثمّ بعد إنهائه لشعائر الحجّ وتحصيله العلمي، يعقد الثّعالبي العزم على

العودة، فيذكر لنا خبر عودته إلى مصر، ثمّ إلى تونس، وهنا يتوقّف نصّ الرّحلة فلا يكمل الحديث إلى أن يعود إلى مدينته الجزائر.

ج. من بين أهم المعلومات الّتي نستخرجها من الرّحلة هو احتوائها على أسماء شيوخ الثّعالبي في كلّ مدينة، وهذا يعطينا دلالة عن السّند العلمي الّذي تلقّاه، ولربّما يكون قصد هذه المدن عمدا للقاء هؤلاء الشّيوخ والأخذ عنهم، ما عدى من لقيهم صدفة أمثال الشّيخ ابن مرزوق الحفيد الّذي صادف وجوده في تونس ذهابه إلى البقاع المقدّسة.

د. تحتوي الرّحلة على بعض المعلومات الّتي ذكرها الثّعالبي في خضم حديثه عن شيوخه، أو دخوله لإحدى المدن الّتي زارها، مثل خبر وفاة الشّيخ ابن عرفة عندما دخل العلاّمة مدينة بجاية، وخبر وفاة الشّيخ أبي مهدي عيسى الغبريني وجلوس الشّيخ أبي عبد الله محمّد القلشاني موضعه في القضاء عند رجوع الثّعالبي إلى مدينة تونس، وخبر المنزلة الّتي وصل إليها في علم الحديث، وما فتحه الله عليه فيه.

- **الإجازات العلميّة**:

أورد الثّعالبي في هذا المخطوط مجموعة من الإجازات العلميّة، عددها عشرة إجازات، أغلبها عبارة عن نصوص طلب استدعاء موجّهة منه إلى شيوخه، وهي مرفقة بنصوص إجابات هؤلاء الشّيوخ، الأولى موجّهة إلى الشّيخ أبي عبد الله محمّد بن خلفة الأبّي، طلب منه الإجازة عند عودته إلى تونس.

أربعة منها موجّهة إلى الشّيخ ابن مرزوق الحفيد، الأولى سنة 819ه/1416م، والبقيّة في السّنوات الموالية، كما توجد واحدة موجّهة إلى الشّيخ أبي زرعة ولي الدّين العراقي، بتاريخ الأحد يوم عاشوراء 817ه/1414م بمصر، واستدعاءان موجّهان إلى الشّيخ أبي محمّد عبد الواحد بن محمّد بن إسماعيل الغرياني.

أمّا البقيّة، فمنها إجازة للشّيخ ابن مرزوق الحفيد من شيخه محمّد بن عبد اللّطيف بن الكويك، وإجازة له أيضا من شيخه عبد الرّحيم بن الحسين بن العراقي على شكل نظم.

ومن خلال هذه النّصوص يمكن استخراج العديد من المعطيات تتمثّل فيما يلي:

أ. **معرفة طريقة طلب الإجازة، والصّيغة الّتي كانت تكتب بها**: فمن خلالها نستنتج أنّ الطّالب يُحدّث شيخه بأن يمنحه الإجازة، فيطلب منه شيخه أن يكتب نصّ الاستدعاء، وهو يحتوي على اسم الطّالب، واسم شيخه مرفقا بالعديد من عبارات الاحترام والتّقدير، الشّكر والمدح، كما يحتوي على نوع الإجازة كأن يقول: "... إجازة تامّة، مطلقة، عامة..."[65]، كما

يمكن أن نحدّد نوع الإجازة بكونها كتابيّة، أو كتابيّة شفويّة في آن واحد، أو أن تكون عبارة عن إجازة منظومة، ويتضمّن الاستدعاء أيضا غرض الطّالب من طلبه مثل: الإذن بالإقراء عمّا حضره عند شيخه، أو لإرشاد غيره، ومع كلّ هذا تتضمّن هذه الإجازات أسماء الكتب الّتي حضرها الطّالب عند شيخه، ومن خلالها نستشف الأمانة العلميّة للثّعالبي، إذ أنّه يحدّد بالتّفصيل ما سمعه أو حضره، مثل قوله: "... حضرته عليه قراءة بحث... وحضرت كثيرا منه من كتاب الطّهارة، وأكثر كتاب الصّلاة أو كله... وكذلك كثيرا من المدوّنة، متوال وغير متوال، فمن المتوالي: من أول الزّكاة إلى أول النّكاح، وكثيرا من رزمة البيوع... "[66].

وبعد هذا يردّ الشّيخ بإجازة، غالبا ما يكتبها على ظهر الاستدعاء الّذي قدّمه له الطّالب، تحتوي على اسم الطّالب، واسم الشّيخ، والعبارات الدّالة على القبول مثل قوله: "... وقد أَذنت له في إقراء ما ذكر، وثوقا بجودة فهمه، وجودة قريحته... "[67]، وقوله: "... أجزت، سيّدي... أبا زيد، عبد الرّحمن ابن محمد بن مخلوف، الثّعالبي... جميع ما تجوز لي روايته، وما تصحّ نسبته... "[68]، وتحتوي أيضا على التاريخ الّذي حرّرت فيه الوثيقة.

ب. **جواز طلب أكثر من إجازة من شيخ واحد**: فالثّعالبي هنا تحصّل على أربع إجازات من شيخه ابن مرزوق الحفيد، وإجازتين من شيخه عبد الواحد الغرياني، بل وتحصّل على إجازة لكل ما أُجيز فيه شيخه ابن مرزوق في الإجازة المنظومة من الشّيخ عبد الرّحيم بن الحسين بن العراقي.

ج. **تواريخ الإجازات**: نستنتج أنّ كل الإجازات الّتي أوردها الثّعالبي تحصّل عليها في طريق العودة من رحلته في مدينتي مصر وتونس، في الفترة من سنة (817هـ/1414م) إلى سنة (820 هـ/1417م).

د. **المادّة العلميّة الّتي أجيز فيها الثّعالبي**: بالنّظر إلى الكتب الّتي تحتويها نجد أنّه أجيز في أكثر من مائة وخمسين كتابا في مختلف العلوم، يغلب عليها علم الحديث بـ 77 كتابا، وهذا قد يُفسّر تفوّقه في هذا العلم عندما عاد إلى تونس، وقد دَرَسَ حوالي 24 كتابا في الفقه وأصوله، و8 في علوم القرآن، و13 كتابا في السّيرة النّبويّة، فيما تتوزّع باقي الكتب بين الأذكار، علوم العربيّة، التّراجم، الآداب والمواعظ، التّصوّف، وغيرها من العلوم، ومن خلال هذا نستطيع معرفة أهم الكتب المدرّسة في وقته في كل ميدان.

كما أنّها تحتوي على المتون، وعلى الشّروح، والمختصرات، فمن المتون: صحيح مسلم، صحيح ابن حبان، الموطّأ، سنن التّرمذي، سنن الدّارقطني، ومن الشّروح: "شرح السنة" لأبي القاسم البغوي، "شرح معاني الآثار" لأحمد بن محمّد الطحاوي، "شرح الأربعين" لابن

الفاكهاني، ومن المختصرات: "مختصر الموطّأ" لأبي الحسن علي بن محمّد بن خلف القابسي، ومختصر مسلم لأبي محمّد عبد العظيم المنذري، وغيرها.

أغلب الكتب درسها عن الشّيخ ابن مرزوق الحفيد، وهذا يعود إلى عدد الإجازات الّتي تلقّاها عنه، كما نجد في بعض الأحيان دراسته لكتاب واحد عند أكثر من شيخ، مع عدم الجمود الفكري لذا الثّعالبي ويتمثّل ذلك في عدم اقتصاره على مذهبه المالكي فقط، وإنّما نجده يغترف من المذاهب الأخرى كالمذهب الحنفي، الشّافعي، الحنبلي.

هـ. **من ناحية مؤلّفي هذه الكتب**: نجد أنّهم ينتمون لفترات زمنيّة مختلفة ممتدّة من القرن الثّاني الهجري/8م، إلى غاية القرن التّاسع الهجري/ 15م، وأغالبيّة من ينتمون لهذا القرن هم شيوخ الثّعالبي، أو شيوخ شيوخه، كما أنّهم ينتمون إلى أماكن جغرافيّة مختلفة من المشرق والمغرب، وبلاد فارس، وفي بعض الأحيان يدرس عدد من الكتب لمؤلّف واحد، مثل: كتب النّووي، والنّسائي، والبخاري، والبيهقي، وأحمد بن حنبل، ولعلّ أكثر من درس كتبه هو شيخه ولي الدّين أحمد بن عبد الرّحيم العراقي، ووالده زين الدّين عبد الرّحيم بن العراقي، إذ بلغت كتب الأوّل 22 كتابا، وكتب الثّاني 5 كتب، وقد تلقّى الثّعالبي هذه الكتب الأخيرة عن شيخه نفسه.

هذا ما يتعلق بالباب الأوّل، أمّا **<u>باقي الأبواب</u>**، فهي متعدّدة ومختلفة المواضيع، وهي تشكّل أغلبيّة المخطوط، يقوم الثعالبي في كل باب منها بالتعريف به مستعينا بمجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وبعض الأشعار وأقوال العلماء فيناقش مختلف القضايا المطروحة. وتتمحور هذه الأبواب في المسائل التّالية:

-**العلم**: مثل: "باب في فضل العلم" ذكر فيه الثعالبي جملة من الأحاديث التي تبيّن فضل العلم، منها قوله ﷺ: " **مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ**"[69] إلى آخر الحديث. و"باب جامع في وعيد من لم يعمل بعلمه أو أراد به غير الله سبحانه".

-**فوائد مختلفة**: وهي أبواب محتوية على مجموعة من الفصول مختلفة المواضيع، مثل: "باب جامع لفصول محتوية على فوايد جمة": ناقش في هذا الباب عدد من المسائل منها: فصل في النوافل في الصلاة، فصل في ما يستحب أن يفطر الصائم به، فصل في ترقي الأرواح بما استجلبت، فصل في القرب والمشاهدة أي أن يعلم العبد أن الله قريب منه، فصل في الأنوار وأنّ الحسنة لها نور يورث انشراح الصدر، فصل في علم القلوب وغيرها من المسائل. و"باب جامع لكلمات حكيمة مشتملة على إشارات إلى مواهب ربّانية وألفاظ وجيزة جامعة لمعان كثيرة لطيفة نورانية"، و"باب جامع لفوائد شتى".

-**أذكار**: مثل: "باب جامع في فضل الدّعاء والأذكار"، و"باب جامع فوايد في الأذكار والدّعوات لم يتقدّم ذكرها استدركناها في هذا الباب".

-**الزهد والتهجد والمناجاة**: مثل: "باب في ما جاء في البكاء من خشية اللّه"، "باب ما جاء في فضل الزهد في الدّنيا والخوف من الرّكون إليها"، "باب ما جاء في التهجّد وفضل المتهجّدين والذّاكرين الحمد للّه"، "باب ومن كتاب وسائل الحاجات وآداب المناجاة للغزالي".

-**بعض الطاعات ومكارم الأخلاق**: مثل: "باب في الحض على الطاعات والمسارعة إلى الخيرات قبل هجوم صولة الممات"، "باب ما يجب في حفظ الجوارح"، "باب ما جاء في تحريم الغيبة والنّميمة والكذب وشهادة الزّور"، "باب في حفظ ساير الجوارح"،

-**الموت ويوم القيامة والحشر**: "باب في ذكر الموت وما بعده"، "باب منه في بيان حشر الخلق إلى الموقف"، "باب ما جاء في دنو الشّمس من الخلايق"، " باب في طول يوم القيامة وذكر الشفاعة"، "باب في ذكر ما ورد في الحساب والعرض"، "باب فيما جاء أنّ أمّة سيّدنا محمّد ﷺ أوّل من يحاسب وأوّل من يدخل الجنة"، "باب في ذكر أحاديث الحوض"، "باب فيما جاء في الميزان"، "باب ما جاء في الجواز على الصّراط ودرجات النّاس في المرور عليه".

-**جهنم**: "باب ما جاء في صفة جهنّم"، و"باب في الشفاعة في إخراج الموحّدين من النّار".

-**الجنّة ونعيمها**: "باب في ذكر من يدخل الجنة بغير حساب"، "باب في صفة الجنة وأصناف نعيمها"، "باب في نعم أهل الجنّة"، "باب منه في صفة الجنة وما أعدّ اللّه سبحانه من الخيرات لأهلها"، "باب في صفة أهل الجنّة وسنهم وثيابهم وصفة الحور وما هناك من الخير والسرور"، "باب ما جاء في ذكر طعام أهل الجنة"، "باب في شجر الجنة وثمارها وثيابها وخيلها ونجبها"، "باب ما يعطى لأدنى أهل الجنة"، "باب جامع لتفسيرات وردت في ذكر الجنة وأهلها"، "باب ما جاء أنّ في الجنّة سوقا وفي تعارف أهل الجنة وحديثهم ورؤيتهم لربهم سبحانه"، "باب في سلام اللّه تعالى على أهل الجنة"، وأخيرا "باب ما جاء أنّ رضوان اللّه سبحانه أفضل من الجنّة"[70].

من خلال ما سبق نستشف القيمة الكبيرة لمخطوط "الجامع الكبير" للشّيخ عبد الرّحمن الثّعالبي، وإن كان الباب الأوّل منه قد حضي بالدّراسة والتّحقيق، فلا تزال باقي الأبواب في حاجة إلى اهتمام الباحثين والدّارسين بدراستها وتحقيقها، ولذا أتمنّى أن تكون هذه الدّراسة فاتحة لغيرها من الدّراسات التي تهتم بهذا المخطوط وبغيره من مؤلفات الثعالبي ومؤلفات غيره من العلماء.

صورة للوحة الأولى من مخطوط "الجامع الكبير"، نسخة رقم 851

الهوامش:

[1] هذا الموضوع في الأصل هو عبارة عن تحقيق لقسم من مخطوط "الجامع الكبير" للشّيخ عبد الرحمن الثعالبي، وهو المتعلق بتراجم الفقهاء المالكية، رحلة الثعالبي، وإجازاته العلمية، في إطار مذكرة ماجستير، بإشراف الدّكتورة نبيلة عبد الشكور، نوقشت في 3 فيفري 2013 بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة. وقد اعتمدت على ثلاث نسخ في الدّراسة والتّحقيق هي: النسخة رقم 851 المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية وهي نسخة أصليّة مكتوبة بخط يد المؤلف، وعلى النسخة رقم 2842 المحفوظة أيضا في المكتبة الوطنية، والنسخة المحفوظة في خزانة طولقا.

(2) أنظر عن هذا الموضوع: عبد الرّحمن بن خلدون المغربي: **تاريخ العلاّمة ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر**، مج6، دط، دار الكالب اللّبناني للطّباعة والنّشر، لبنان، 1978، ص ص 126- 131؛ مبارك بن محمّد الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تقديم وتصحيح: محمّد الميلي، ج2، دط، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، لبنان، 1989، ص ص 370- 372.

(3) أنظر على سبيل المثال: أبو العبّاس أحمد بن أحمد الغبريني: **عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية**، تحقيق: محمّد بن أبي شنب، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007.، ص ص 172- 188؛ الثّعالبي: **الجامع الكبير**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 581، ق 40- 45.

(4) عن الثّعالبي. أنظر أيضا: أحمد بابا التّنبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج**، تحقيق: علي عمر، ط1، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة، 1423- 2004، ص ص 257- 260؛ محمد بن أبي القاسم الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، ج1، ط1، مؤسسة الرسالة، المكتبة العتيقة، بيروت، تونس، 1402- 1982، ص ص 62- 68؛ محمّد بن محمّد مخلوف: **شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة**، ج1، ط 2، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1349، ص ص 264- 265؛ شمس الدّين محمّد بن عبد الرحمن السّخاوي: **الضوء اللاّمع لأهل القرن التّاسع**، ج4، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412- 1992، ص ص 152- 153؛ إسماعيل باشا البغدادي: **هَديّة العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين**، ج1، ط2، دار إحياء التّراث العربي، بيروت- لبنان، دت، ص ص 532- 533؛ عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى منتصف القرن العشرين**، ط3، مؤسّسة نويهض الثّقافيّة للتّأليف والتّرجمة والنّشر، بيروت- لبنان، 1403- 1982، ص ص 90- 91؛ يوسف اليان سركيس: **معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة**، وهو **شامل لأسماء الكتب المطبوعة في الأقطار الشرقية والغربية، مع ذكر أسماء مؤلفيها ولمعة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة إلى نهاية السنة الهجرية 1339 الموافقة لسنة 1919 ميلادية**، ج1، دط، مكتبة يوسف اليان سركيس، القاهرة- مصر، 1928، ص 661؛ أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثّقافي**، ج1، ط6، دار البصائر للنّشر والتّوزيع، حسين داي- الجزائر، 2009، ص ص 91- 93؛ أبو القاسم سعد الله، وآخرون: **موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين**، ج4، ط1، اعتنت بنشره المنظّمة العربيّة للتربية والثّقافة والعلوم، دار الجيل، بيروت- لبنان، 1425- 2005، ص ص 807- 811؛ مسعود كواتي، محمّد الشّريف سيدي موسى: **أعلام مدينة الجزائر ومنيّجة**، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص ص 94- 95.

(5) يذكر الأستاذ محمّد بن عبد الكريم أنّ تكنية الثّعالبي بأبي زيد إنّما هي تكنية اصطلاحيّة، مُتعارف عليها لذا العلماء، فهم يُكنّون كلّ من اسمه عبد الرّحمن بأبي زيد. وإنّما كنيته الحقيقيّة أبو يحيى نسبة لولده يحي، وأبو محمّد نسبة إلى أولاده الثّلاث المسمّين بمحمّد. أنظر: محمّد بن ميمون الجزائري: **التّحفة المرضية في الدّولة البكداشيّة**

في بلاد الجزائر المحميّة، تحقيق: محمّد بن عبد الكريم، ط1، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1392- 1972، الملحق رقم 3، ص 344.

(6) ذكر أبو راس النّاصري نسب الثعالبي في سياق حديثه عن قبيلة النّعالبة، وأوصله إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ونقل صاحب "القول الأحوط" هذا النّسب وأوصله إلى هشام بن عبد مناف. انظر: محمّد بن أحمد أبو راس النّاصري: **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، مخطوط بالمكتبة الوطنيّة الجزائريّة (الحامّة)، رقم 1633، ق 24 و؛ ابن خلدون: **العبر**، مج6، ص 121؛ مجهول: **القول الأحوط في بيان ما تداول من العلوم في المغربين الأقصى والأوسط**، مخطوط بالمكتبة الوطنيّة الجزائريّة (الحامّة)، رقم 3185، ق 7.

(7) أنظر: النّعالبي: **الجامع الكبير**، ق 39 ظ.

(8) عبد الرّحمن النّعالبي: **حقائق التّوحيد**، تحقيق: أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، ط خاصّة، عالم المعرفة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2011، ص 23.

(9) الثعالبي: **الجامع الكبير**، ق 39 ظ. ويسر الآن هي إحدى بلديات ولاية بومرداس، تقع شرق الجزائر العاصمة بحوالي 60 كلم.

(10) عبد الرحمن الثعالبي: **غنيمة الوافد وبغية الطّالب الماجد، فهرسة مرويّات ومؤلّفات فخر الجزائر الإمام المسند الشّيخ عبد الرحمن بن محمّد بن مخلوف الثعالبي المتوفّى سنة 875 هـ، ويليها رحلة عبد الرحمن الثعالبي**، تحقيق: محمّد شايب شريف، ط1، دار ابن حزم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1426- 2005، ص 29.

(11) يذكر الثعالبي في النصوص التي استشهدت بها، السنة التي انتهى فيها من تأليف أحد كتبه مع سِنِّهِ حينها، ومن خلالها استطعت حساب سنة مولده. وللعلم أنّه لا يوجد توحيد في هذه السنوات. أنظر: أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي: **تراجم الفقهاء المالكية من خلال مخطوط "الجامع الكبير" للشيخ عبد الرحمن الثعالبي (ت 875هـ/ 1470م)**، دراسة وتحقيق: أمينة سليمة صاري، إشراف الدّكتورة: نبيلة عبد الشكور، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة- الجزائر، 1432- 1433هـ/ 2011- 2012م، ص ص 28- 31 (مقدمة التحقيق).

(12) وفي 24 جمادى الآخرة من سنة (803هـ/1400م) وصله خبر وفاة الشّيخ أبي عبد الله محمّد بن عرفة الورغمي. النّعالبي: **الجامع الكبير**، ق 39 ظ. **ملاحظة**: يذكر الأستاذ محمّد بن عبد الكريم أنّ النّعالبي دخل إلى بجاية مع أبيه، ولمّا مات أبوه الّذي دفن بها، عاد إلى مدينة الجزائر لتفقّد أقاربه، ثمّ رجع مجدّدا إليها، وما يؤكد قوله هذا، هو ما ذكره هو نفسه في "كتاب الرّؤى والمنامات"، إذ قال: " حدّثني أبي رحمه الله تعالى في عام ثلاثة وثمانمائة... وإنّما حدّثني والدي بهذا ببجاية... ثمّ مات والدي رحمه الله، وقدمتُ على قرابتي زائرا، فكان من كلام عمّي عمر بن

مخلوف... ". وهذا النّصّ يُبيّن صدق ما ذهب إليه محمّد بن عبد الكريم، وأنّه التقى في عودته إلى مدينته الأم بعمّه عمر. انظر: الثعالبي: **كتاب الرؤى والمنامات**، تحقيق: عبد الرحمن دوَيب، ط خاصة، عالم المعرفة للنشر والتّوزيع، الجزائر، 2011، ص 41؛ **التحفة المرضية**، الملحق رقم 3، ص 336.

(13) الثّعالبي: **الجامع الكبير**، ق 39.

(14) عبد الرحمن بن محمّد الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج2، دط، دار الأمّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2009، ص 360.

(15) من خلال دراستي استنتجت أنّ الثعالبي كان في مصر في ذي القعدة (816هـ/ 1413م)، وبقي بها إلى ما بعد سنة (817هـ/1414م)، وأنه رجع إلى تونس بعد هذه السنة، وبقي بها إلى أواخر سنة (820 هـ/ 1417م).

(16) أنظر عن رحلة الثعالبي: الجامع الكبير، ق 39- 40؛ وعن تواجد الثعالبي في مدينة الجزائر سنة (833هـ) أنظر: محمّد بن أحمد أبو راس النّاصري: **عجائب الأسفار**، ق 24 و. أنظر أيضا: مجهول: **القول الأحوط**، ق 8.

(17) الآية 15، سورة سبأ.

(18) الثّعالبي: **الأنوار في آيات النّبي المختار**، تحقيق: محمّد الشّريف قاهر، ج1، ط1، دار التّراث ناشرون- دار ابن حزم للطّباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1426- 2005، ص 103- 104؛ نور الدّين عبد القادر: **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، ط2، نشر كلية الآداب الجزائريّة، قسنطينة- الجزائر، 1965..

(19) الثعالبي: **الجامع الكبير**، ق 39- 40، 43ظ، 45- 46 و.

(20) أحد تلاميذ الثّعالبي، نسخ السّفر الأوّل من "الجواهر الحسان" بخطّ يده، وفي نهاية هذا السفر توجد إجازة له بخط الثّعالبي، أجاز له فيها أن يروي عنه جميع هذا السّفر ورواية الّذي يليه، وجميع تصانيفه ومرويّاته، وذلك في أواخر ذي القعدة سنة (847هـ/1443م)، وقد وصفه شيخه في هذه الإجازة بـ: "... الفقيه الأنجب الفاضل.. "، وكان السنجاسني قد انتهى من النسخ بتاريخ يوم الثلاثاء 12 رمضان سنة (843هـ/1439م). كما تحتوي هذه المخطوطة في العديد من أوراقها على تعليقات أخرى في الهامش بخط الثّعالبي جاء في إحداها: "بلغ قراءة تفهم وكتب عبد الرحمن بن محمد الثعالبي لطف الله به أواخر رجب من عام سبعة وأربعين وثمان ماية والحمد لله". انظر: عبد الرّحمن بن مخلوف الثّعالبي: **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، مخطوط بوزارة الشّؤون الدّينيّة، الجزائر، رقم 26، السفر1، ق 40، 342؛ والأوراق التي بها تعليقات الثعالبي هي: 40، 56، 106، 125، 135، 154، 166، 201، 251، 262، كما يحتوي المخطوط على وقف مؤرّخ بتاريخ أواسط صفر عام 872هـ/ 1467م، في الورقة الأولى منه.

(21) قام بنسخ مخطوط "غنيمة الوافد وبغية الطّالب الماجد" في 3 ذي الحجّة من سنة (873هـ/ 1468م)، وبآخر هذه المخطوطة يوجد نص استدعاء التمس به الإجازة من شيخه الثّعالبي. انظر: **غنيمة الوافد**، ص ص 15، 79- 80.

(22) **معجم أعلام الجزائر**، ص 36؛ **تاريخ الجزائر الثّقافي**، ج1، ص ص 83- 84.

(23) عن تلامذة الثعالبي أنظر: المصادر التي ترجمت للثعالبي وذكرت بعضا منهم والتي أوردتها في الإحالة رقم (4).

(24) **تاريخ الجزائر العام**، ج2، ص 365.

(25) عن مناقشة مسألة سنة وفاة الثعالبي. أنظر: الثعالبي: **تراجم فقهاء مالكية من خلال مخطوط الجامع الكبير**، ص ص 51- 52 (مقدمة التحقيق).

(26) خلّف الثّعالبي أربعة من الأولاد: محمّد الكبير، ومحمّد الصّغير، ومحمّد المعروف بابن الصالحيت، ويحيى، توفّي محمّد الصّغير سنة (846هـ/ 1442م) بالطّاعون، وتوفّي أخوه محمّد بن الصّالحيت سنة (851هـ/ 1447م)، وخلّف من البنات أربعا كذلك، هنّ: فاطمة، رقيّة، محجوبة، وعائشة، توفّيت بناته الثّلاثة المذكورات أوّلا صغيرات في السّنّ سنة (841هـ/ 1437م)، فيما كانت ابنته عائشة حيّة في سنة وفاة أخيها ابن الصالحيت، وقد دفن الثعالبي في نفس مكان دفن أولاده، والملاحظ أنّ أولاده لم يتركوا عقبا إلاّ ولده محمّد الكبير فقد خلّف بنتا اسمها "كلّة". أمّا عن زوجة الثّعالبي فيذكر الأستاذ محمّد بن عبد الكريم نقلا عن مخطوط "**أنباء أبناء الزّمان**" للشّيخ علي بن الحاج موسى، أنّ اسمها مريم، وهي أمّ جميع أولاده، أمّا عن أبيها فيقول الشّيخ المذكور: "و لم أقف على اسم أبيها صهر الشّيخ (سيدي عبد الرّحمن)، وإنّما وقفت على تاريخ وفاته بالجزائر من غير وجود تصريح باسمه بأوائل ربيع الثّاني عام 841هـ، وأنّه دفن بمقبرة آل صهر الشّيخ المذكور الآتي ذكرها (مقبرة الطلبة)"، وقد ذكر الثّعالبي عن صهره مايلي: " وفي أوائل ربيع الثّاني من هذه السّنة 841هـ توفّي صهري أبو زوجتي وكان خيِّرًا...". انظر: الثّعالبي: **كتاب الرؤى والمنامات**، ص 62؛ **الجامع الكبير**، ق 47 و؛ **غنيمة الوافد**، ص 29؛ **تاريخ الجزائر العام**، ج2، ص ص 365- 366؛ **التحفة المرضية**، الملحق رقم 3، ص ص 343- 345.

(27) أنظر نصوص الإجازات العلميّة في مخطوط "الجامع الكبير"، ق 32، 40 و- 46.

(28) أورد الثّعالبي سنده في رواية الموطّأ في "الجامع الكبير"، ثمّ أعاد ذكره في "غنيمة الوافد. أنظر: **الجامع الكبير**، ق 45؛ **غنيمة الوافد**، ص ص 33- 40.

(29) الثعالبي: **الجامع الكبير**، ق 40- 46؛ **غنيمة الوافد**، ص ص 31- 78.

(30) نجده قبل أن يباشر هذه الوظيفة يطلب من شيخه ابن مرزوق الحفيد أن يأذن له في الإقراء، فكتب له استدعاء بذلك جاء في ختامة: "... وأرجوا من بركته، إذنا وإجازة بالتّحديث عنه، وإذنا بإذاعة علم ما تعلّمناه منه، ومن غيره

من مشايخنا – رحمهم الله- وإقراء من طلب ذلك، من أخ في الله مسترشدا، وجاهل يرغب في التّعليم من أهل، وولد، وقريب وصديق"، فأجابه شيخه بما نصّه: "... وأذنت له – حفظه الله- في التّحديث، والإقراء، وتعليم الجاهلين، وإرشاد المسترشدين، فهو أهل لذلك وسالك – إن شاء الله- أحسن المسالك، أعانني الله وإيّاه على طاعته... ". أنظر: التّعالبي: **الجامع الكبير**، ق 42 و.

(31) التّعالبي: **جامع الأمّهات في أحكام العبادات**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية (الحامة)، رقم 583، ق 75 و.

(32) منبر "الجامع الكبير" محفوظ الآن بمتحف الآثار القديمة والفنون الإسلاميّة، الكائن بشارع كريم بلقاسم، ساحة الحريّة، بمدينة الجزائر، ومن بين آثار التّعالبي مقبض عصا الخطيب، كانت متواجدة بالجامع الكبير، وقيل لي أنّها نُقلت إلى المُتحف مع المنبر، لكِنّي لم أجدها هناك.

(33) **تاريخ الجزائر العام**، ج2، ص 362.

(34) أنظر عن ثناء العلماء عليه: الثعالبي: **تراجم الفقهاء المالكية من خلال مخطوط الجامع الكبير**، ص ص 59- 63 (مقدمة التحقيق).

(35) الثعالبي: **الجامع الكبير**، ق 40 ظ.

(36) ذهب إلى هذا القول إدموند فانيان (Edmund Vanyan)، إذ اعتبر المخطوط رقم 851 نسخة أوّليّة من مخطوط "العلوم الفاخرة" رقم 850، هذا الاحتمال غير مقبول في نظري باعتبار أنّ التّعالبي انتهى من تأليف هذا المخطوط سنة (847هـ/1443م)، فيما ابتدأ جمع وتأليف كتابه "العلوم الفاخرة في النّظر في أمور الآخرة" سنة (849 هـ/ 1445م)، وانتهى من تأليفه ككل عام (850هـ/ 1446م). انظر: التّعالبي: **الجامع الكبير**، ق 47ظ، 204ظ؛ التّعالبي: **العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية (الحامة)، رقم 850، ق 1 ظ، ق 631 و؛ عبد القادر أوقاسي: **مخطوطات المؤلّفين الجزائريين في المكتبة الوطنيّة الجزائريّة: فهرس فانيان – دراسة تحليليّة-** ، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد علم المكتبات والتّوثيق، إشراف: الدّكتور عبّاس صالح طاشكندي، وبمشاركة: الدّكتور محمود بوعيّاد، السّنة الجامعيّة: 1996- 1997، ص 168، ه58، 59.

Edmund Vanyan: Bibliohgraphies et Catalogues -10- Catalogue General des Manusecrits, de la Bibliothèque Nationale d'Algérie (Première tranche: du n°1 au n° 1987), Pare, Fagnan, Bibliothèque Nationale d'Algerie. □

(37) اتخذ الأستاذ رابح بونار هذا العنوان كاسم للمخطوط، لكنّه علّق في الهامش بقوله: "و أطلقنا اسم "طبقات الفقهاء المالكيّين" للإمام التّعالبي على كتاب له في التّراجم والوعظ... وقد يكون للكتاب اسم آخر لم نهتد بعدُ إلى معرفته، خصوصا والكتاب مبتور الأوّل... "، نلاحظ أنّ هذا العنوان ليس هو العنوان الحقيقي وإنّما هو

يُمثّل محتوى المخطوط، وما يؤكّد ذلك هو وجود حوالي أربع مخطوطات في المكتبة الوطنيّة تحمل هذا العنوان، ومؤلّفوها مجهولون، عندما اطّلعت على أسماء هذه المخطوطات الأربع تبادر إلى ذهني الشّكّ في أن تكون إحداها نسخة من المخطوط المراد تحقيقه، وبعد أن تفحّصتها، تبيّن لي أنّ المخطوط رقم 2842 هو فعلا نسخة من "الجامع الكبير". انظر: رابح بونار: "عبد الرّحمن الثّعالبي دفين الجزائر"، **مجلّة الثّقافة**، تصدرها وزارة الإعلام والثّقافة بالجزائر، السّنة الثّانية، العدد7، محرم 1392هـ- مارس 1972م، ص 46.

(38) هذا الاسم هو لمخطوط آخر للثّعالبي، يتشابه نوعا ما من ناحية المحتوى مع "الجامع الكبير" وقد شككت أنا بدوري في أن تكون المخطوطتان عبارة عن كتاب واحد، وبعد اطّلاعي على "روضة الأنوار" ومقارنتها بـ "الجامع الكبير" تبيّن لي أنّ تمّت اختلافات كثيرة بينهما، من ناحية المحتوى ومن ناحية تاريخ تأليفهما فقد ألّف الرّوضة سنة (832هـ/1428م)، وألّف الجامع سنة (847هـ/1443م). انظر: عبد الرحمن الثّعالبي: **روضة الأنوار ونزهة الأخيار**، مخطوط بالمكتبة الوطنيّة الجزائريّة (الحامّة)، رقم 884، ق 2، 8 و؛ أوقاسي: المرجع السابق، ص 157.

(39) ذكر الدّكتور أبو القاسم سعد الله هذا الاحتمال لكنّه نفاه، وما يؤكّد أنّ الكتابين منفصلان أنّ الشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي ذكرهما منفصلين، فقال أنّ "جامع الهمم في أخبار الأمم" عبارة عن سفرين ضخمين، وأشار إلى كتاب "الجامع الكبير" عندما تحدّث عن النّبذة الّتي نُشرت منه، وقال أنّ الثّعالبي وضعه ملحقا بشرحه على مختصر ابن الحاجب الفرعي، ولا يخفى على أحد أنّ الشّيخ الجيلالي من بين أكثر النّاس المُطّلعين على تراث الثّعالبي، وما أُلّف عنه، إذ تحتوي خزانته على نفائس كثيرة، كما أنّه الوحيد من ذكر هذا التّأليف، وكلّ من أتى بعده من الباحثين ينقل عنه في هذه النّقطة، ممّا يجعلنا نحتمل أنّ خزانته تحتوي على نسخة منه. ثمّ إنّ عنوان "جامع الهمم في أخبار الأمم" يدلّنا على أنّه قد يكون كتابا في التّراجم كما أشار الدّكتور سعد الله، أو يكون كتابا تاريخيا، وربّما تاريخ سياسي، مثلا أخبار الدّول. ومن خلال هذا نستنتج أنّ احتمال أن يكون هذا هو عنوان المخطوط مستبعد. انظر: الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج2، ص 363؛ سعد الله: **تاريخ الجزائر الثّقافي**، ج1، ص ص 69- 70، هـ1.

(40) أشار عليّ بهذا الاحتمال الأستاذ محمّد شايب شريف، ولكن ما قد يجعل هذا الاحتمال مستبعدا هو أنّ الثّعالبي في "غنيمة الوافد" عندما عدّد مؤلّفاته ذكر الكتابين – أي الجامع الكبير، وجامع الفوائد- منفصلين، وكذلك الأمر بالنّسبة للشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي. أنظر: **غنيمة الوافد**، ص ص 28- 29؛ الثّعالبي: **جامع الأمّهات في أحكام العبادات**، تحقيق: موسى اسماعيل، ج1، طبعة خاصّة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 303؛ الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج2، ص 363.

(41) **غنيمة الوافد**، ص 28.

(42) **جامع الأمّهات**، ج1، ص 303.

(43) المصدر نفسه، ج1، ص 304.

(44) الثعالبي: **الجامع الكبير**، ق 114 ظ.

(45) الثعالبي: **الجامع**، نسخة طولقا، ج1، ق 1 و.

(46) عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، ج2، دط، المطبعة الجديدة الفاسية، الطالعة، 1347، ص 131.

(47) محمّد بن سعيد قدّورة: **جليس الزّائر وأنيس السّائر**، مخطوط بالمكتبة الوطنيّة الجزائريّة (الحامّة)، رقم 2600، ق 121.

(48) **الجامع الكبير**، ق 47 و.

(49) المصدر نفسه، ق 204 ظ.

(50) المصدر نفسه، ق 114 ظ.

(51) **جامع الأمّهات**، ج1، ص 304.

(52) **الجامع الكبير**، ق 47 و.

(53) **روضة الأنوار**، ق 8 و.

(54) المصدر نفسه، ق 2 و.

(55) **الجامع الكبير**، ق 47 و.

(56) المصدر نفسه، ق 131 ظ.

(57) المصدر نفسه، ق 15 ظ.

(58) حياة الخضر عليه السّلام مسألة خلافيّة، لكن الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (الآية 81، سورة آل عمران)، تبين أنه لو كان حيّا لوجب عليه الإيمان به صلّى الله عليه وسلّم والحضور بين يديه، ونصرته، وأن يشهد معه غزواته. والله أعلم.

(59) يبدأ النّقل منه مباشرة بعد انتهاء التّراجم التّي نقلها من "ترتيب المدارك"، ولكنّه لا يُصرّح بنقله منه بأية إشارة، لا باسم مؤلّفه، ولا باسم الكتاب، ولكن من خلال المقارنة بينه وبين المخطوط، نستنتج ذلك، ويمكن لنا أن نحدّد التّراجم التي نقلها منه، وهي: ترجمة أبي الوليد ابن رشد، وأبي عبد الله المازري، وأبي بكر ابن العربي.

(60) **الجامع الكبير**، ق 39 و.

(61) المصدر نفسه، ق 39 و.

(62) المصدر نفسه، ابتداء من ق 47 ظ.

(63) المصدر نفسه، ق 8 ظ.

(64) المصدر نفسه، ق 10 ظ.

(65) المصدر نفسه، ق 42و.

(66) المصدر نفسه، ق 40.

(67) المصدر نفسه، ق 40 ظ.

(68) المصدر نفسه، ق 42.

(69) محمّد بن عيسى الترمذي: **سنن الترمذي**، ج5، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، ط2، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، مصر، 1395- 1975، ص ص 48- 49.

(70) المصدر نفسه، ق 47 ظ، وما بعدها. أنظر أيضا: أوقاسي: المرجع السّابق، ص ص 170- 171.